- السَّادَةُ الحُضُورُ.
- السَّيِّدَاتُ وَالسَّادَةُ :
إِنَّنِي أَشْعُرُ بِالإِلهَامِ وَشُعُورٍ خَاصٍّ خَاصَّةً مِنَ الجُمْهُورِ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ التَّكْرِيسِ وَمِنَ التَّخْصِيصِ وَالاِهْتِمَامِ، وَأُرِيدُ أَنْ أُؤَكِّدَ أَنَّنِي فِي هَذَا المُؤْتَمَرِ سَعِيدٌ بِتَوَاجُدِ العَدِيدِ مِنَ العُلَمَاءِ، وَأَنَّ هَذَا هُوَ مَا يُعَلَّمُ وَيُدَرَّسُ لِلْكَثِيرِ مِنَ الأَجْيَالِ بَعْدَ ذَلِكَ حِينَمَا يَتَعَلَّقُ الأَمْرُ بِمِئَاتِ الأَلَافِ مِنَ العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ، يُعَلِّمُونَهُمْ بَعْضَ المَفَاهِيمِ الرَّئِيسَةِ فِي هَذَا القَرْنِ.
إِنَّنِي لَا أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ دِبْلُومَاسِيًّا أَوْ مُنَمَّقًا فِي الكَلَامِ ، إِنَّنِي أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ أَمِينًا صَادِقًا، وَأَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا سَيَكُونُ مُفِيدًا لِلْجَمِيعِ فِي المُؤْتَمَرِ، إِنَّنَا حِينَمَا نَتَحَدَّثُ عَنِ الإِسْلَامِ مَا الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلَهُ الإِسْلَامُ فِي تِلْكَ القَضَايَا بِالتَّصْرِيحَاتِ بِالأَمْسِ، فَنَحْنُ استَمَعْنَا بِالأَمْسِ عَنْ تَصْرِيحَاتٍ تَتَعَلَّقُ مَثَلًا بِكَذَا وَكَذَا، وَاسْتَمَعْنَا إِلَى مُنَاقَشَاتٍ تَتَعَلَّقُ بِالحَضَارَاتِ وَالهُوِيَّةِ، وَمَا هُوَ مَفْهُومُ الحَضَارَاتِ وَالهُوِيَّةِ اَلَّتِي تَجُوبُ العَالَمَ، وَالَّتِي يَكُونُ لَهَا تَأْثِيرٌ حَولَ العَالَمِ.
وَإِنَّنِي اليَومَ أُرِيدُ أَنْ أَتَحَدَّثَ عَنِ القِيَادَةِ، هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تَتَقَلَّدَ زِمَامَ القِيَادَةِ فِي هَذَا العَصْرِ الحَالِي؟ وَمَا هِيَ المُتَطَلَّبَاتُ؟ إِنَّنِي قَادِمٌ مِنْ أَسْيَا الوُسْطَى، وَكَمَا تَعْلَمُونَ إِنَّهَا بَلَدٌ وَمِنْطَقَةٌ كَبِيرَةٌ جِدًّا، وَكَمَا تَعْلَمُونَ نَحْنُ نُحَاطُ مِنَ الشِّمَالِ، وَيُوجَدُ لَدَينَا أَكْثَرُ مِنْ ثَمَانِمِائَةِ سَنَةٍ حِينَمَا قَدِمَ العَرَبُ إِلَى مِنْطَقَةِ أَسْيَا الوُسْطَى، فَحِينَمَا قَدِمُوا إِلَى هَذِهِ المِنْطَقَةِ قَدِمُوا مِنْ أَجْلِ تَطْوِيرِ الخِدْمَاتِ وَقَبْلَ كُلِّ شَيءٍ شَكْلٌ مِنْ أَشْكَالِ التَّقَدُّمِ وَالمُسْتَوَيَاتِ وَفِي الكَثِيرِ مِنَ المَجَالَاتِ ، مِثْلَ : التُّكْنُولُوجْيَا وَالرِّيَاضَةِ وَالعُلُومِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ وَغَيرِهَا مِنَ المَجَالَاتِ، كُلُّ هَذِهِ المَجَالَاتِ وَكُلُّ هَذِهِ العُلُومِ كَانَتْ قَدْ كُتِبَتْ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ ، حَتَّي الفُرْسُ وَحَتَّى الأَتْرَاكُ حِينَمَا قَدِمُوا كَانُواْ كُلُّهُمْ مِنَ المُسْلِمِينَ، إِذًا كَانَ هُنَاكَ تَأْثِيرٌ لِلْإِسْلَامِ، كَانَ هُنَاكَ تَأْثِيرٌ وَاضِحٌ لِلْإِسْلَامِ فِي هَذَا المَجَالِ، نَجِدُ أَنَّ هُنَاكَ نَتِيجَةً مُخْتَلِفَةً وَكَانَتْ هَذِهِ الجِنْسِيَّاتُ وَهَذِهِ الأَعْرَاقُ كُلُّهَا تَعْمَلُ تَحْتَ رَايَةٍ وَاحِدَةٍ وَتَحْتَ نَغَمَةٍ وَاحِدَةٍ؛ أَلَا وَهِيَ المَوْجَةُ الإِسْلَامِيَّةُ، إِذًا كَانَ هُنَاكَ تَأْثِيرٌ وَاضِحٌ لِهَذِهِ المَوْجَةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي مِنْطَقَةِ أَسْيَا الوُسْطَى، وَبَعْدَ ذَلِكَ حِينَمَا نَتَحَدَّثُ عَنِ التَّقَدُّمِ الاِقْتِصَادِيِّ كَانَ لِلْعَرَبِ دَورٌ بَارِزٌ فِي هَذِهِ المِنْطَقَةِ كَذَلِكَ بِسَبَبِ التِّجَارَةِ.

نَحْنُ الآنَ فِي عَالَمِ هَذِهِ المَنْظُومَةِ النَّاجِحَةِ لِلْإِمْبرَاطُورِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ مَرَّةً أُخْرَى فِي آسْيَا الوُسْطَى، وَلِمَاذَا لَا نُكَرِّرُ دَرْسَ المَاضِي؟ وَلِمَاذَا لَا نَقُومُ بِمُنَافَسَاتٍ جَيِّدَةٍ فِي المَجَالَاتِ التِّقَنِيَّةِ الأُخْرَى الحَدِيثَةِ ؛ كَعُلُومِ الفَضَاءِ وَغَيرِهَا مِنَ المَجَالَاتِ الأُخْرَى الَّتِي تَحْتَاجُ نَقْلَةً حَضَارِيَّةً؟ فَكَيفَ يُمْكِنُ أَنْ نُحْدِثَ هَذَا التَّقَدُّمَ وَنَتَغَلَّبَ عَلَى مَشَاكِلِنَا؟ لِمَاذَا لَا نَجِدُ آلِيَّةً لِهَذَا الأَمْرِ؟ لِمَاذَا لَا نَجِدُ جَامِعَاتِنَا الإِسْلَامِيَّةَ مِنْ أَفْضَلِ الجَامِعَاتِ فِي العَالَمِ؟ لِمَاذَا لَا نَدْعمُ المَوَاهِبَ الَّتِي تَدْرُسُ لَدَينَا بِالخَارِجِ؟ لِمَاذَا لَا نَدْعَمُ الكَثِيرَ مِنَ البَاحِثِينَ وَالعُلَمَاءِ؟

هَذَا سُؤَالٌ كَبِيرٌ أُرِيدُ أَنْ أَطْرَحَهُ عَلَيكُمْ، نَحْنُ الآَنَ فِي هَذَا القَرْنِ الحَدِيثِ لَا نُعدُّ - لِلأَسَفِ الشَّدِيدِ- وَلَا نُوَاكِبُ المَنْظُومَةَ التُّكْنُولُوجِيَّةَ، لِمَاذَا لَا نُحْرِزُ تَقَدُّمًا عِلْمِيًّا وَنُوَاكِبُ الحَضَارَةَ؟ فَنَحْنُ نَجِدُ أَنَّ هُنَاكَ - لِلْأَسَفِ الشَّدِيدِ - مُعَدَّلَاتِ الفَقْرِ مُرْتَفِعَةٌ فِي هَذِهِ البِلْدَانِ، فَنَجِدُ أَنَّ أَتْبَاعَ الإِسْلَامِ -مَثَلًا- يَتَجَاوَزُونَ المِلْيَارَ وَنِصْفَ، أَيْ يُمَثِّلُونَ نِسْبَةً كَبِيرَةً مِنْ سُكَّانِ العَالَمِ، وَنَجِدُ أَنَّ مَنْ يَمْتَلِكُ الإِقْتِصَادَ العَالَمِيَّ مُعْظَمُهُمْ مِنَ الشَّعْبِ اليَهُودِيِّ، إِنَّنَا نَتَحَدَّثُ عَنْ أَرْقَامٍ الآَنَ، نَسَأَلُ أَنْفُسَنَا: لِمَاذَا يَحْدُثُ هَذَا السِّينَارْيُو؟ أَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ شَخْصٌ اسْتَطَاعَ أَنْ يَحُلَّ هَذِهِ المُعْضِلَةَ، أَعْتَقِدُ أَنَّ مَشَاكِلَنَا لَيسَتْ دِينِيَّةً أَوْ عِرْقِيَّةً، وَلَكِنَّهَا مُشْكِلَةٌ عَوِيصَةٌ وَهِيَ أَنْ نَتَحَرَّكَ .

نَحْنُ لَيسَ لَدَينَا آَلِيَّةٌ لِمُوَاجَهَةِ هَذِهِ التَّحَدِّيَّاتِ بِشَكْلٍ سَلِيمٍ، أَعْتَقِدُ أَنَّ الرَّوَابِطَ السِّينِيَّةَ وَالفِكْرِيَّةَ كُلَّهَا تَرْتَبِطُ بِبَعْضِهَا البَعْضَ، كَيفَ يُمْكِنُ أَنْ نَتَّخِذَ قَرَارًا فِي دَفْعِ الشُّعُوبِ لِلْأَمَامِ؟ وَكَيفَ يُمْكِنُ لِلْمُوَاطِنِينَ أَنْ يَحْصُلُواْ عَلَى تَعْلِيمٍ جَيِّدٍ؟ وَأَنْ يَنَالُوا قِسْطًا ضَئِيلًا مِنْهُ؟ كَيفَ يُمْكِنُ أَنْ نَتَّحِدَ وَنَتْرُكَ العَالَمَ فِي مَكَانٍ أَفْضَلَ وَنَلِدَ جَيلًا جَدِيدًا؟ لَا يُوجَدُ أَيُّ بَدِيلٍ آَخَرَ، لِمَاذَا لَا نَلِدُ جِيلًا جَدِيدًا يَقُودُ العَالَمَ؟

وَالحَقُّ يُقَالُ: دَعُونِي أَسْأَلُكُمْ: كَمْ مِنْ عُلَمَاءَ يَحْضُرُونَ المُؤْتَمَرَاتِ، أَنَا أَتَحَدَّثُ بِصَرَاحَةٍ، إِنَّ أَفْضَلَ القَادَةِ الدِّينِيِّينَ فِي كُلِّ العَالَمِ - مَوجُودَة فِي العَالَمِ- يَعْمَلُونَ مِنْ أَجْلِ العِلْمِ وَالمَعْرِفَةِ ، أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا أَفْضَلُ لَنَا جَمِيعًا.

شُكْرًا جَزِيلًا لَكُمْ.